دراسة في الأغراض الشعرية في شعر دعبل الخزاعي

حميد رستم آبادي
طالب دكتوراه في جامعة آزاد الإسلامية ـ مدينة كاشمر ـ ايران
Sarv0531@gmail.com
الدكتور محمد جعفري (الكاتب المسؤول)
استاذ مساعد ـ جامعة آزاد الإسلامية ـ مدينة كاشمر ـ ايران
D.m.jafari92@gmail.com
الدكتور محمد شايگان مهر
استاذ مساعد ـ جامعة آزاد الإسلامية ـ مدينة كاشمر ـ ايران
Shaygan47@gmail.com

A study of poetic purposes in the poetry of Daabil Al-Khuza'i

Hamid Rostam Abadi
PhD student , Islamic Azad University , Kashmar Branch , Kashmar , Iran
Dr.Mohammad Jafari (Responsible writer)
Assistant Professor Of Islamic Azad University , Kashmar, Branch , Kashmar, Iran
Dr.Mohammad Shayegan Mehr
Assistant Professor Of Islamic Azad University , Kashmar Branch , Kashmar, Iran

الملخص:

دعبل شاعر مفوه خزاعي النسب، وهو من الشعراء الشيعة الملتزمين وقد أدرك في حياته أربعة من الأئمة الأطهار عليهم السلام، وفضلا عن كونه شاعراً يُعَدُّ من أهم رواة الحديث الشريف، وله قصائد عدة تتراوح مضامينها ما بين ضيافة الضيف والثناء والذم، وثنائه فيها يشمل آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، ويهجو في عدد كبير منها أعداء أهل هذا البيت، وقصائد دعبل مستواحاة من القرآن الكريم وأحاديث اهل البيت عليهم السلام، وقد نظم دعبل قصيدته التائية (مدارس الآيات أو التائية الكبرى) في مدحهم، وهي القصيدة التي أكملها الأمام الرضا عليه السلام ليصبح دعبل الخزاعي الشاعر الوحيد الذي تُكمل قصيدته من قبل أمام معصوم، وقد سَخر دعبل من حكام بني العباس بتهور فقيل له: (ألا تخاف ؟ لماذا تفعل هذا؟) فأجاب: (أنا أحمل حبل مشنقتي منذ أربعون عام، إنما لم أرى أحداً يقوم بشنقي) ومن أبرز سمات شعره ثناءه وحبه الجارف لأهل بيت النبي المصطفى (عليه وعلى أهل بيته أفضل الصلاة والسلام).

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، النبي محمد صلى الله عليه وآله، أهل البيت عليهم السلام، دعبل الخزاعي، حكام بني العباس، المدح، القصيدة التائية.

Abstract:-

Da'bal Khoza'i is one of the Shiite poets, who lived simultaneously with four Imams. So, he was one of the hadith narrators. His poems is mainly related to praising the hospitality and blaming the enemies of Ahlal-Bayt. Also his poems includes the hadith of Ahlal-Bayt (AS) and the Holy Quran. One of his popular poems is “Madares Ayat Qasida” or “Tasieh Kobra”, which Imam Reza (AS) added to it. Emami completed his poets. He courageously mocked the Abbasid caliphs.When people asked him “why you are not afraid?, he said, "I have been carrying a gibbet with myself for forty years, then do not see anyone who could execute me”. He lovingly praised the family of the Prophet.

Key words: Holy Quran, The prophit muhammed, Ahlal-Bayt (AS), Daabil Al-Khuza'i, Rulers of Bani al-Abbas, Praise, poem altaayiya.

المقدمة:

الشعر هو لغة أهل الذوق والفن، ولغة أهل القلب والمعرفة، وإذا نشأ الشعر من حكمة وشعور الفنان والشاعر الواعي، سوف يبقى في ذهن المتلقي إلى الأبد. كان دعبل الخزاعي شاعراً مشهوراً ومبدعاً في الأدب العربي، نادراً ما تجد كتاباً ادبياً أو تاريخياً لا يحمل في طياته ذكرى لطيفة من هذا الشاعر ذو الهمم عالية. إذ كان شاعراً ذي نوايا حسنة، وكان ينشد أشعاراً بليغة مع بنية قوية وكلمات سهلة تحمل مفاهيم عاطفية، واضحة وصادقة، لاسيما في مدحه أو رثائه لأهل البيت عليهم السلام، ولم يلقِ دعبل قصائده المؤثرة تحت أقدام الحكام العباسيين أو في بلاطهم مطلقا لأنه لم يسع في يوم من الأيام الى النيل من هباتهم او لكي ينال تكريمهم فيقال له أمير الشعراء، بل كانت صرخته كالعاصفة العنيفة على هيكلية حكومتهم الجبارة ليدافع بقوة عن شرف الإسلام والقرآن الكريم والعلويين بسلاح الشعر، أذ كان دعبلُ على صلة دائمة بأئمة الهدى عليهم السلام، فقد كان من رواة حديثهم، وروى عنه الآخرون أيضاً.

كان دعبل يحمل حباً وتعصباً شديداً نحو الأمام على عليه السلام وآل بيته الأطهار فمعظم قصائده كانت في مديح أهل هذا البيت العظيم، إذ عاش ما بين ١٤٨ و٢٤٦ هجرية، فأدرك حياة أربعة من الأئمة الأطهار وهم: الإمام الصادق، الإمام الكاظم، الإمام الرضا والإمام الجواد عليهم السلام، ونتيجة لهذا الحب والتعلق بهم أصبحت قصائده فيهم فيما بعد من أروع قصائده.

دعبل والقرآن والحديث

في الديانة التوحيدية، كان هناك أناس في الطليعة دائماً، أشخاص يسعون لجعل البشرية تتجه نحو الخير والمحبة ووقعت هذه المهمة أخيرا على عاتق رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وآل بيته الطاهرين، فهم قادة الأمة الى طريق التوحيد بكلامهم الفصيح وبلاغتهم الرّنانة، وهو مانراه جلياً عند قراءة إذن الدخول في زيارة مراقدهم المقدسة إذ نقول: ((وفتحتَ بابَ فَهمي بِلذيذِ منتجاتهم)).

ومن بين الناس المعجبين بهم، هناك من قدم هؤلاء الطاهرين وأئمة الهدى عليهم السلام بصورة جميلة إلى الناس فنُقشت أقوالهم في الأذهان وفي مقدمة من قدم هذه الصور الجميلة عنهم الشعراء الموالون مثل كميت بن زيد الأسدي ودعبل الخزاعي وغيرهم.

وفي هذا السياق سنناقش دور دعبل في التعريف والثناء على آل البيت عليهم السلام واستخدامه وتمتعه بكنز المعرفة لهذه المدرسة العظيمة، كما سنظهر بلاغته في الكلام التي سخرها في التعريف بهم وهجاء خصومهم والتي كانت تنزل كالمطرقة على هيكلية الدولة العباسية فتزلزل كيانها، فضلا عما سنورده من اعجابنا برجل كان يهاجم قيادة الدولة المتقدمة بلا خوف وهوادة لدرجة كان يُخرس فيها ألسنتهم فلا يستطيعون مواجهة كلماته القاطعة، ولعل أبرز أساليبه الشعرية إستخدام القرآن الكريم والإسعانة بمفاهيمه وبأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام والتي كانت تنزل على خصومه كالمطر الشديد.

الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام في شعر دعبل:

في الأبيات الآتية سنرى كيف أن دعبل وظف خصائص أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام التي وردت في القرآن الكريم وفي كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في شعره ومن ذلك قوله:

ألا إنَّـــهُ طُهـــرٌ زكـــي مطَـــهَّرٌ ... ســـريعٌ إلى الخَـــيراتِ والبركـــاتِ

غلامـــاً وكهـــلاً، خـــيرُ كهـــلٍ ويـــافعٍ ... وَأبســـطُهُم كفّـــاً إلى الكرُبـــاتِ

وَأشـــجَعُهم قلبـــاً، وَأصـــدقُهُم أخـــاً ... وَأعظَمُهُـــم في المَجـــدِ والقُرُبـــاتِ

(ديوان ص٦٦ و ٦٧)

ففي شطر البيت الأول أشار دعبل الى أن أمير المؤمنين عليه السلام زكي طاهر مطهر موظفاً قوله تعالى في أهل البيت عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب الآية ٣٣)، أما الشطر الثاني من البيت الأول ففيه دلالة وتوظيف رائع لقوله تعالى الذي نزل في حق أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، (سورة الإنسان الآية ٨)، أو توظيف قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، (سورة المائدة الآية ٥٥).

وقد وظف دعبل شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الخندق وخروجه لمبارزة عمرو بن عبد ود، وعمره يومئذٍ عشرون عاما، ومقولة رسول الله صلى الله عليه وآله له: ((لَمُبارزة علي يوم الخندق أفضل أعمال أمتي)) خير توظيف لتلك الحالة في البيت الثالث، فضلا أن شجاعة الإمام عليّ التي وصفها دعبل قائلا (وأشجعهم قلبا) توظيف لموقف أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة مبيته في فراش النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفداءه له بنفسه، وهو في ذات الوقت توظيف لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ

مَن يشري نفسَهُ ابتغاء مرضاة اللّهِ﴾، (سورة البقرة الآية ٢٠٧)، الذي جاء في حق أمير المؤمنين عليه السلام نظير شجاعته وموقفه، ولما نزل قوله تعالى: ﴿لا تكلّفُ إلّا نفسكَ﴾، (سورة النساء الآية ٨٤)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنها نزلت في عليّ عليه السلام: لأنه ((أشجعهُم قلباً وأصدقُهم أخاً....))، (تفسير العياشي، ١٣٨٠هـ، ج ١ ص ٢٦٢)، فوظف دعبل هذا القول في البيت الثالث فقال:

وَأشـــجَعُهم قلبـــاً، وَأصـــدقُهُم أخـــاً ... وَأعظَمُهُـــم في المَجـــدِ والقُربـــاتِ

(الديوان ص ٦٧)

وفي مكان آخر ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله لبريدة: (يا بريدةُ ! إنَّ علياً ليسَ بِظلّامٍ، ولَم يُخلَق للظُّلمِ وهوَ أخي وَوَصيي وَولي أمرِكم مِن بَعدي)، (دعائم الإسلام، ١٣٨٥ هـ، جلد ١ ص ٤٢٥)، فوظف دعبل ذلك القول شعرا فقال:

أخـو المصطـفى بـل صـهرُهُ ووصيـّتهُ ... مـــن القـــوم والسّـــتارُ للعَـــوراتِ

(الديوان ص١٤٧)

وفي مكان آخر وظف دعبل قوله تعالى: ﴿شققنا الأرضَ شقّاً﴾، (سورة عبس الآية ٢٦) في بيان صفة المعادين لأمير المؤمنين عليه السلام لأنهم يؤذون إحساس رسول الله صلى الله عليه وآله في حبه وقربه من أمير المؤمنين عليه السلام كونه منه بمثابة هارون من موسى عليه السلام فقال في توظيف تلك الحالة:

كهـارون مـن موسـي علـى رغـم معشـر ... ســـفالٍ لئـــامٍ شُـــقّقِ البشـــراتِ

(الديوان ص٦٦)

ولّما نزل قوله تعالى: ﴿يا أيّها الّذينَ آمنُوا إذا ناجَيتُـمُ الرّسُولَ فقدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْواكُـمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيرٌ لَكُـمْ وَأَطهَرُ فَإنْ لَـمْ تَجِدُوا فَإنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيـمٌ﴾ (سورة المجادلة الآية ١٢)، قال السعدي عن قوله تعالى في هذه الآية: حدثني عبد خير عن عليّ عليه السلام قال: كنت أوّل من ناجاه، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكلّمتُ رسول اللّه صلى الله عليه وآله عشر مرّات كلّما أردت أن أناجيه تصدّقت بدرهم فشقّ ذلك على أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال المنافقون: ما يألو ما ينجش لابن عمّه قال: فنسختها الآية التالية من سورة المجادلة: ﴿أأشفَقتُـمْ أن تُقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْواكُـمْ صَدَقَاتٍ فإذْ لَـمْ تَفعَلُوا وَتَابَ اللّهُ عَلَيكُـمْ فَأَقِيمُوا الصّلَاةَ وَآتُوا الزّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ﴾،

(سورة المجادلة الآية ١٣)، ولم يدم نزول الآية ونسخها إلا ساعة من نهار، وهكذا روى عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن مجاهد قال عليّ عليه السلام: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال: وما كانت إلا ساعة، ما أحد عمل بها قبلي ولا بعدي، (سيماى امام علي عليه السلام در قرآن، ١٣٨١ش، ص٣٣١)، جاء دعبل الخزاعي الى هذه الحادثة المتواترة عند الرواة فوضفها في شعره فقال:

ذاكَ الوصـــي وصـــي أحمـــدَ وَالَّـــذي ... نـــاجَي الرَّســـولَ وَقَـــدَّمَ الصَّـــدقاتِ

ذاكَ الوصـــي الثّالـــثُ الخـــاطي بِمـــا ... أعطَـــي زكـــاةً راكعـــاً بِصـــلاةِ

(الديوان ص٧٢)

دعبل والحكام العباسيين:

ولد دعبل في عهد المنصورالعباسي، وأمضى العقد الأول من حياته في تلك المدة، ومنذ ولادته ومراهقته وصولاً لمماته أدرك حياة كل من حكام بني العباس: المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المأمون، المعتصم، الواثق ثم عاش لسنوات قليلة ايضاً من حكم المتوكل العباسي.

إن المدة التي عاش فيها دعبل؛ كانت تعكس بشكل واضح الوجه الحقيقي لمؤسسة الحكم العباسي، إذ كانت قوة وسلطة الحكام العباسيين أكبر وأعظم من نفوذ الحكام الأمويين، لدرجة أن أهل المدن قد تستسلم وتهبط الرأس لإرادتهم وأوامرهم.

خلال هذه المدة كان الحاكم العباسي لوحده هو من يترأس الحكومة والقائد العسكري الأعلى للدولة، ولما كان للفرس الدور الكبير في الثورة العباسية على الأمويين وتشكيل حكومة بني العباس؛ فقد كان لهم نفوذ في أجهزة الدولة الحكومية والإدارية، لذلك كان من الطبيعي أن يقوم أولئك الحكام بتضييق الخناق على نفوذ الفرس بشدة كي يتمكنوا من التخلص من المحاولات المحتملة للعديد من رجالاتهم الذين قد يعرضون حكومتهم للخطر.

استمرت حكومة المنصور القمعية والمرعبة من عام ١٣٦هـ إلى عام ١٥٨هـ، وفي منتصف حكمه الذي دام حوالي عشرون عاما؛ وُلد هذا الشاعر العلوي المميز، بعد وفاة المنصور تولى نجله المهدي السلطة عام ١٥٨هـ، ليدفع ثمن بضعاً من آثام والده وجرائمه ظاهرياً كي

يتجنب أي ثورة قد تقود حكومته نحو الهاوية، ومع ذلك فإنه استدعى الإمام الكاظم عليه السلام من المدينة المنورة إلى بغداد وقام بسجنه فيها، ويقال أنه قام بإطلاق سراحه بعد مدة نتيجة رؤيا في المنام ما وتوقف عن مضايقته، (سبط بن جوزي، تذكرة الخواصّ، بلا تا ص٣٤٩)

سبب استدعاء دعبل الى البلاط العباسي:

والجدير بالذكر أن استدعاء دعبل إلى قصر الرشيد لم يكن أمراً يسهل تجاهله، لأنه على الرغم من أن دعبل قد اكتسب شهرة وثروة أثر هذا الحدث على ما يبدو، إلا أنه كان رجلاً صاحب عقيدة وجهاد؛ لا يرى في نفسه بحاجة لكل من المال والثروة ولا يفكر بتاتاً لكسب الشهرة. لذلك علينا أن نرى ما الذي دفع به الى الحضور الى البلاط العباسي وماالذي دفع بالحاكم العباسي لكل هذا التكريم لشاعر شاب من قبيلة بنو خزاعة.

من المؤكد أن دوافع هارون العباسي في هذه القضية ليست محض سياسة فحسب، لأنه في بداية سلطته وحكومته وهو بحاجة لمعرفة كافية للوضع الإجتماعي والسياسي للدولة، و في ظل هذه الأساسيات قام بحفظ الحكومة وتقويتها ضد الأشخاص والجماعات المؤثرة التي قد تشكل خطراً عليه، ومن المرجح أنه خطط ليرى لاتخاذ السياسة المناسبة أمام كل ماسيشكل خطرا ضده.

شجاعة دعبل الرائعة أمام المأمون العباسي:

وفي موقف آخر نرى دعبل في بلاط المأمون العباسي يتحدث الى المأمون باسلوبه الرائع وباعتداده بنفسه الذي استقاه من العلويين ويحذره من ارتكاب المفاسد والموبقات فيقول:

أيسومُني المأمونُ خُطَّةَ جاهلٍ ... أوَ ما رأى بالأمسِ رأسَ محمدِ

نُوفي علَي هامِ الخلائفِ مثلَما ... تُوفي الجبالُ علَي رؤوسِ القَردد

وَنَحَلُّ في أكنافِ كلِّ مُمَنَّعٍ ... حتى نُذَلِّلُ شاهقاً لَم يصعَدِ

(الديوان ص ٨٨)

ثم يتفاخر دعبل بقبيلته بنو خزاعة ويذكّر ببطولتهم في هزيمة الأمين وإيصال المأمون إلى سدة الحكم، وينسب الموقع الذي وصل اليه المأمون ومكانته وسمعته إلى جهودهم وشجاعتهم، وبعد نشره لهذه القصيدة والخطيرة، قام أبو سعد المخزومي المعروف بإسم

عيسى بن خالد بن وليد بتأليف قصيدة رفض فيها قول دعبل وحيى فيها المأمون، طالباً الإذن بقتل دعبل وحز رأسه، إلا أن المأمون تهرب من اجابة طلبه ثم رد الطلب ورفضه وقال: إن دعبل رجل يتكلم أمامنا بتفاخر، ونحن سنرد عليه بتفاخر، لهذا لا ضرورة لقتله). (الأغاني (١٩٨٦م) جزء ٢٠ ص ١٨٨).

دعبل والإمام الرضا عليه السلام:

لدعبل قصائد جميلة في الإمام الرضا عليه السلام، ومن أجمل المواقف التي سجلها التأريخ لدعبل مع الإمام الرضا عليه السلام فبعد أن حضر دعبل في حضرة الإمام عليه السلام وأذن له بقراءة قصائده في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام، نرى أن الإمام عليه السلام يكمل لدعبل إحدى أهم قصائده وهي (القصيدة التائية المشهورة)، إذ نقل الشيخ الصدوق نقلاً عن أبا الصلت الهروي في كتاب عيون اخبار الرضا: بأن دعبل الخزاعي كان قد وصل عند الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مدينة مرو، ولما استقر به المقام قال: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله، كنت قد انشأتُ قصيدة في مدحكم وأقسمت أن لا أتلوها على أحد قبل أن ألقيها بحضرتك لتسمعها. فقال الإمام عليه السلام: إقرأ قصيدتك يا دعبل، فتلا دعبل قصيدته التائية التي اشتهرت فيما بعد:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزل وحيي مُقفِرُ العرصات

حتى إذا ماوصل الى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسّما ... وأيديهم من فيئهم صفرات

فبكى الإمام عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي، ولما وصل دعبل الى قوله:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم ... أكفّاً عن الأوتار منقبضات

جعل الإمام عليه السلام يقلّب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات، ثم استرسل دعبل في إنشاده فقال:

لقد خفت في الدّنيا وأيام سعيها ... وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

فقال له الإمام الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر، فلما انتهي إلى البيت الآتي:

وقـــبر ببغـــداد لـــنفس زكيـــةٍ تضـــمّنها الـــرحمن في الغرفـــات

قال له الإمام عليه السلام: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك ؟، فقال دعبل: بلي يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنشأ الإمام الرضا عليه السلام يقول:

وقـــبر بطـــوس يـــا لهـــا مـــن مصـــيبة توقّـــد بالأحشـــاء في الحرقـــات

إلى الحشـــر حـــتى يبعـــث الله قائمـــا يفـــرّج عنّـــآ الهـــم والكربـــات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا القبر الذي بطوس قبر من هو ؟، فقال عليه السلام: (قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له.

دعبل الخزاعي والمعتصم العباسي

بعد نهاية حكم المأمون، تولى شقيقه المعتصم عرش السلطة، وخلال مدة حكم المعتصم تعرض السادات والعلويون ومحبي آل بيت النبي صلى الله عليه وآله للإضطهاد والتعذيب والتعقب بإستمرار، فعلى سبيل المثال نذكر عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وهو الذي رفض لبس الثياب السوداء شعار بني العباس، فتم سجنه في سامراء حتى توفي فيها. (مقاتل الطالبين، ابوالفرج الإطفهاني، ص٥٨٩).

في الوقت الذي كان المعتصم فيه منصرفا الى مجالس اللهو والطرب (تاريخ إيران بعد الإسلام سنة ١٣٦٣ للهجرة الشمسية ص ٤٢١)، وفي مثل هكذا حال، فإن دعبل انتفض على المعتصم العباسي متخذاً من الشعر تكتيكاً يخترق به عقول الناس ويُطلِعَهم على فساد منظومة الحكم والحكومة والحاكم، لذا قام دعبل بنظم قصيدة في هجاء المعتصم العباسي يسخر فيها منه ومن أفعاله، مشيرا فيها الى إبتعاد المعتصم عن الدين والحكمة في وقت يشغل فيه منصب ما يسمى بـ(خليفة المسلمين) فقال:

بَكـــي لِشـــتاتِ الـــدّينِ مُكتَئِـــبٌ صَـــبٌّ وفـــاضَ بِفَـــرطِ الـــدّمعِ مَـــن عَينِـــهِ غَـــربُ

وقـــامَ إمـــامٌ لَـــم يكـــن ذاهِدايـــةٍ فَلَـــيسَ لَـــهُ ديـــنٌ، ولـــيسَ لـــهُ لُـــبٌّ

(الديوان ص ١٠٢)

دعبل والعلويون:

لا يقوم الشعر إلا على مبدأين أساسيين:

- الحب الكبير.
- الكراهية الشديدة.

وكان دعبل يضمر كلا المبدأين في نفسه، إذ كانت كراهيته شديدة لقادة البلاد، وكان حبه كبيرا ورفقته دائمة لآل علي عليه السلام فهو المادح لعلي عليه السلام بقوله في تائيته الشهيرة:

وَصَـــلَّى عَلَيـــهِ اللّـــهُ مـــا ذَرَّ شـــارِقٌ وَلاحَـــت نُجـــومُ اللَّيـــلِ مبتَـــدراتِ

(الديوان ص ٦١)

وفي هذا البيت فإن دعبل يشير إلى الآية المباركة:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، (سورة الأحزاب الآية ٥٦).

في إشارة الى سوء طالع المعاندين له وبخاصة ما وصف به الله تعالى المعاندين في القرآن الكريم إذ ورد ذكر (العنيد) في القرآن الكريم، في سورة هود الآية ٥٩، وسورة ابراهيم الآية ١٥، وسورة يس الآية ٢٤ و سورة المدثر الآية ١٦:

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، (سورة هود الآية ٥٩)

أما استخدام كلمة ((ذَرَّ شارقٌ)) بدلاً من طلعت الشمس فهي من فضائل وابداع شعر دعبل، إذ يقول:

سَـــأبكيهم مـــا ذَرَّ في الأرضِ شـــارقٌ ونـــادَى منـــادَي الخَـــيرِ بِالصَّـــلَواتِ

ومـــا طلعـــت شمـــسٌ وحـــان غروبُهـــا وَباللَّيـــلِ أبكـــيهم وبالغـــدَواتِ

(الديوان ص ٦٤)

العلم والمعرفة في شعر دعبل:

كان دعبل الخزاعي ثابتاً على المبادئ التي كان يجازف من أجلها دائماً، ومن توصيات الشريعة الإسلامية طلب العلم، لذلك فإن في قصائد دعبل رسائل تبين أهمية طلب العلم

ومنها قوله:

العلـــمُ ينـــهَضُ بالخســـيسِ إلى العُـــلا والجهـــلُ يقعُـــدُ بـــالفتَى المنســـوبِ

وَإذا الفتَـــى نـــالَ العُلـــومُ بِفَهمِـــهِ وَاُعـــينُ بالتَّشـــذيبِ والتَّهـــذيبِ

(الديوان ص٥٢)

دعبل والتعامل مع الضيوف:

من سمات دعبل الفريدة حفاوته الغريبة بالضيف. كما ورد في مطلع إحدى قصائده:

علِّـــلاني بِســـماعٍ و طـــلا وبِضَـــيفٍ طـــارقٍ يبغـــي القِـــرَي

نَغَمـــاتُ الضَّـــيفِ أحلَـــي عنـــدنا مِـــن ثُغـــاءِ الشّـــاءِ أو ذاتِ الرُّغـــا

(الديوان ص٣٨)

ولم يكن توجه دعبل ذاك إلا امتثالا لأوامر الرسول ﷺ التي تحض على إكرام الضيف وتقديره إذ ورد عنه ﷺ قوله: (لا يضيفُ الضَّيفَ إلّا كلُّ مؤمن)، أو قوله ﷺ أيضاً: (الضَّيفُ إذا دخَلَ البَيتَ المؤمنِ، دَخَلَ معَهُ ألفُ بَرَكةٍ و ألفُ رَحمةٍ و يكتُبُ اللهُ لِصاحِبِ المنزلِ بِكلِّ لقمةٍ يأكلُها الضَّيفُ حَجَّةً و عُمرَةً)، فضلا عما ورد في كلام امير المؤمنين علي عليه السلام إذ يقول: (الله! الله! في الضَّيفِ لا ينصَرِفَنَّ إلّا شاكراً لَكم). (لئالي الأخبار، ١٤١٣ ج٣ ص٦٦).

النتيجة:

هناك وجهات نظر وأحاديث عديدة عند الشيعة الإمامية، توثق لمسارحياتهم والتزامهم بوصية رسول الله ﷺ بعد وفاته، فالتزموا علياً عليه السلام وأهل بيته، وقد عبر كل منهم بأسلوبه الخاص بذلك الإتبّاع والإخلاص لوصية الرسول الأكرم ﷺ، ومن أبرز سمات التعبير عن الإخلاص إستخدام لغة الشعر في التعبير عن الولاء والمحبة لرسول الله ﷺ ولأهل بيته عليهم السلام، فطبع شعرهم بطابع الحب والولاء لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وللأئمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام من بعده، ومن هؤلاء المخلصين الذين لم تأخذهم في ذلك الولاء والحب لومة لائم الشاعر دعبل الخزاعي الذي عاصر وأدرك أربعة من الأئمة الأطهار عليهم السلام فجالسهم وتعلم منهم الكثير؛ لذلك كان يُعَدُّ من رواة حديثهم.

لقد كان دعبل الخزاعي شاعراً مفوها مُجيداً في شعره، لم يذهب الى التعقيد في شعره بل كان شعره مفهوماً للجميع، وقد وظف شعره في حب عليّ وأهل بيته عليهم السلام ومدحهم وذم أعدائهم، ولم يكن يخاف حكام الدولة أو يخشاهم في محبته وولائه ذاك، بل إنه كلما سُئل: ألا تخاف أن تفقد رأسك بما تقول؟ كان يجيب مشيراً إلى حبلٍ لا يفارقه: (أنا أحمل حبل مشنقتي منذ أربعون عام، إنما لم أرَ أحداً يقوم بشنقي)، ومن أهم سمات شعر دعبل في مدحه لأهل البي عليهم السلام توظيف المفاهيم القرآنية وأحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في شعره، وهو ما أضاف على ذلك الشعر دقة ووثاقة وحلاوة كبيرة.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١- دعبل الخُزاعي، ديوان دعبل مع مقدمة وشرح ضياء حسين الإعلمي، دار نشر ومؤسسة النور للمَطبوعات، بيروت/لبنان ١٤١٧ هـ.ق/ ١٩٩٧ م صفحه ي ٦٣

٢- الشيخ الحرالعاملي، محمد حسين، وسايل الشيعة، دار نشر ومؤسسة آل البيت عليهم السلام قم ١٤٠٩هـ.ق جلد ١٥

٣- دعبل الخُزاعي، ديوان دعبل بن علي الخُزاعي / عبد الصاحب عمران الدجيلي، دار الكتب اللبناني، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩ م

٤- ابوالفرج اصفهاني/ مقاتل الطالبين، شرح و تحقيق احم صقر، دارالمعرفة، بيروت بي تا

٥- زرين كوب، عبدالحسين/ تاريخ الإيران بعد الإسلام، مؤسسة ودار نشر امير كبير، تهران، الطبعة الرابعة ١٣٦٣ هـ.ش

٦- سبط بن الجوزي، تذكرة الخواصّ، قدّمَ له السيد صادق بحرالعلوم، مكتبة نينوي الحديثة بي تا

٧- ابوالفرج الأصفهاني، علي بن الحسين/ الأغاني، شرحهُ وكتبَ هوامشه عبدالعلي مهنّا دارالفكر، بيروت، ١٤٠٧ ه.ق / ١٩٨٦ م

٨- النوري الطبرسي، الشيخ ميرزا حسين بن محمد تقي بن علي بن محمد / مستدرك الوسائل، دار نشر و مؤسسة آل البَيت لِإحياء التُراث، قم ١٤٠٨ هـ.ق

٩- تويسركاني، محمد نبي بن أحمد / لئالي الأخبار، دارنشر علامة، قم ١٤١٣

١٠- الآمدي، عبدالواحد بن محمد / غرر الحكم و درر الكلم، تصحيح: الرجائي، مهدي، دار نشر دار الكتاب الإسلامي، قم ١٤١٠ هـ.ق

١١- المجلسي، محمد باقر/ بحارُ الأنوار، الجامعة لِدُرَرِ أخبارِ الأئمَّةِ الأطهار، دار نشر: دار الإحياء لتراثِ العربي الطبعة الثالثة بيروت

١٢- الحسكاني، عبيدالله بن عبدالله / ملامح الإمام علي عليه السلام في القرآن {ترجمة شواهد التنزيل، دار نشر اُسوة، قم تاريخ وفاة المؤلّف: ٤٩٠ هـ.ق

١٣- العياشي، محمد بن مسعود / تفسير العياشي، بتحقيق رسولي محلاتي، سيد هاشم، دار نشر: المطبعة العلمية، طهران، ١٣٨٠ه.ق

١٤- أبو حنيفة، النعمان بن محمد المغربي / دعائم الإسلام، المحقق: فيضي آصف، دار نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السَّلام، قم ١٣٨٥ هـ.ق

١٥- الديلمي، الحسن بن محمد /إرشاد القلوب ((ترجمة سلگي النهاوندي، علي))، دار نشر: ناصر، قم، ١٣٧٦ هـ.ش

١٦- العلامة الحلّي، الحسن بن يوسف بن المطهر / كشف اليقين، ترجمة آژير، المحقق: درگاهي حسين، دارنشر: وزارة الإرشاد، طهران

١٧- الحلواني، حسين بن محمد بن حسن بن نصر /نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، المحقق: مدرسةُ الإمام المهدي عجّل اللهُ تعالى فرجهُ الشريف، دارنشر: مدرسةُ الإمام المهدي عجّل اللهُ تعالى فرجهُ الشريف، قم،١٤٠٨ هـ.ق)